حين تهجم سحب الأحزان، وتتكاتف قيود الهموم؛ فلا تجد مخرجًا، وتضيق عليك نفسك؛ وكأن روحك تتصاعد من حلقك، وتكاد الظروف تخنقك؛ فتخرج أنفاسك بصعوبة، وتضيق الدنيا، وينسحب الناس من حولك، وتصير وحيدًا؛ لا مؤنس ولا معين فتتيقن الموت..

هنا؛ يفتح لك الرب طاقة الفرج، ونسمة الأمل، ويبث فيك الطمأنينة، ويمد لك يد العون، ويحييك بعد ما رأيت الموت؛ فتخر له ساجدًا وباكيًا ولسانك يردد: يا حي.. يا قيوم! لك الشكر كله.

وما حصل هذا إلا بعد توكلك على الحي الذي لا يموت؛ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان:٥٨].

فربُّنا ﷻ أثبت صفة (الحياة) لنفسه، وهي: حياة كاملة لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال ولا فناء على الدوام، ولا يعتريها نقص ولا عيب، ولا

غفلة ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا موت بأي حال من الأحوال: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥] -جل ربنا وتقدس عن ذلك-.

وحياتُهُ ﷻ منزهة عن مشابهة حياة الخلق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١]، حياة تستلزم كمال صفاته ﷻ؛ من علمه وسمعه وبصره وقدرته وإرادته ورحمته ما يشاء، إلى غير ذلك من صفات كماله.

وربُّنا الحي ﷻ؛ الذي قامت به الحياة، الذي به حي كل حي، فكل ما سواه حياته قائمة على إحياء الله ﷻ له، قال ﷻ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة:٢٨].

وربُّنا ﷻ؛ الذي يحيي النفوس والأرواح بنور العلم والهدى والإيمان.

وربُّنا ﷻ؛ الذي يهب أهل الجنة الحياة الدائمة الباقية، قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[العنكبوت: ٦٤].

❐ الدليل الواضح:

الحيُّ لا إله إلا هو، من توكل عليه كفاه، لا يقهر إرادته شيء، ولا يعجزه شيء، يكشف السوء، ويجيب المضطر، يحيي العظام وهي رميم، يعيد الخلق كما بدأهم أول مرة؛ وهو أهون عليه، وهو الحكيم الذي لا يخلق

شيئًا عبثًا، ولا يترك شيئًا سدىً.

أخرج ابن جرير والبيهقي عن ابن عباس ﷺ قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ؛ فقام وأخذ عظمًا رميمًا؛ ففتته بيده، وقال: من يحيي العظام وهي رميم؟! -مكذبًا للبعث والنشور-؛ قال: «نَعَمْ، يَبْعَثُ اللهُ هَذَا، ثُمَّ يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ»، وأنزل الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾[يس:٧٧-٧٩] إلى آخر السورة [حديث صحيح. رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي].

ما أكفر الإنسان! نسي خلقه وأنكر خالقه؛ فالذي خلقه أول مرة يعيده ويحييه؛ لأن الخلق الثاني أهون -من حيث العقل-، وكله هين على الله؛ فإن البدء والإعادة عند الله سواء؛ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[الروم:٢٧].

فالعزة له، والجبروت له، والعظمة له، والكبرياء له، والسلطان له، والملك له، والحكم له، والقوة له، والتسبيح له، والتقديس له.. ما أعظم شأنه، وأفخر ملكه، وأعلى مكانه!

❐ نداء الكون..

فسبحان من جعل لكل مخلوق حياةً تخصه! فحياة الملائكة غير حياة الإنسان، وحياة الجن غير حياة الإنس، وحياة الحيوانات تختلف عن حياة

الإنس والجن والملائكة.

وحتى الجمادات فاضت عليها آثار اسم الله: (الحي)؛ فكانت حيةً، فإن الجمادات فاض عليها ما يناسبها من الحياة، فهذه عصا موسى عليه السلام: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الشعراء:٤٥].

وحتى الأشجار لها حياة خاصة؛ فالجذع حن لرسول الله ﷺ، ففي «صحيح البخاري»: "كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع؛ فأتاه، فمسح يده عليه"، وفي «السنن»: فأتاه، فاحتضنه؛ فسكن، فقال ﷺ: «لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[حديث صحيح. رواه ابن ماجه].

فظهور هذه الحياة في المادة الصماء أليست آيةً من آيات الله ﷻ، تدل على أنه الحي، لا إله إلا هو؟!

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الوَاحِدُ

❐ قلوب المحبين..

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ! إِنِّي أَعُوْذُ بِعِزَّتِكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ: أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوْتُ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»[رواه مسلم].

لا شك أن الهداية: هي حياة القلوب، وهي من الحي لا إله إلا هو، فمن أرادها فليرجها ويسألها من الحي؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥].

والقلب إذا امتلأ بالإيمان وبجلال الله؛ هنا تحلو الحياة، وتعذب الدنيا، وتستنير البصيرة، وتنكشف الهموم، وتهاجر الغموم، ويسعد بالوجود.

فأسماء الله ﷻ: تثير حبًّا ورغبةً في قلوب المؤمنين، فهم سعداء في الدنيا، وسعداء في الآخرة، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل: ٩٧].

ومن كفر؛ ضاق عيشه، ونغصت معيشته في الدنيا والآخرة؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[طه:١٢٤]، وإن كان يسير على قدمه فهو في عداد الموتى؛ ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾[النحل:٢١].

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ ... إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

❐ انكسر له!

في «مسند الإمام أحمد» من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «يَا حَيُّ.. يَا قَيُّوْمُ! بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ» [حديث حسن].

وروى النسائي: أن النبي ﷺ قال لابنته فاطمة ﷺ: «مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ! أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ!

بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ؛ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»

[حديث صحيح].

وعند الترمذي والحاكم من حديث ابن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؛ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[حديث صحيح].

وجاء في «السنن» من حديث أنس ﷺ: أن رجلاً دعا؛ فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام.. يا حي.. يا قيوم!

فقال النبي ﷺ: «دَعَا اللَهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[حديث صحيح].

قال ابن القيم ﷺ: "فإن صفة (الحياة) متضمنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة (القيومية) متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى: هو اسم: الحي القيوم".

اللهم! إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون.

اللهم يا حي.. يا قيوم! برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله.